والفسيولوجيا والتشريح الباثولوجي وما الامتحان في المختبرات فحسبوا انهُ احط من ان يلتصق بالتطبيب و يبدي اصحابهُ آراءهم في اسباب الامراض. قال جرَّاح مشهور من جراحي ذلك العصر «ان نتائج ما يجرَّب في المختبرات يجب ان تقدَّم الينا بالاحترام والاتضاع ما دامت المباحث العلاجية لم تؤيدها»

ولكن لما قيل هذا القول وذلك سنة ١٨٧٣ كانت القوى التي جعلت عصر مباحث المختبرات اعظم عصور الطب قد اخذت تفعل فعلها المدهش. وهنا عدَّد الكاتب اسماء كثيرين من الباحثين وما فعلهُ كل واحد منهم في هذا العمل العظيم الى ان وصل الى لستر وكوخ وما فعلاهُ كما سيجيء

وصف الطبائع لثيوفراستس

(٢) في التملُّق

التملُّق تجارة شائنة عائد نفعها على صاحبها دون غيره. اذا سار المتملِّق معك في احد المتنزهات لا يلبث ان يقول لك: «الا ترى كيف ان جميع الانظار متجهة اليك؟ ذلك ما لا يتفق لغيرك. ما اجمل ما قال الناس عنك امس من عبارات المديح والاطراء. فقد كنا نحو الثلاثين جالسين في المحل الفلاني نتجاذب اطراف الحديث فادَّى بنا الكلام الى تسمية اعظم رجل من رجال الخير والاحسان في البلد فاجمعت الآراء عليك». يقول لك ذلك وكثيراً مثلهُ وهو يلتقط ما يعلق بثيابك من الزَّغب وما يسقط على لحيتك او رأسك من الهباء ثم يستأنف كلامهُ قائلاً: «هذا ما يقول افضل الناس عنك وهذا احسن ما يمكن ان يقال عن امرئ وليسمع». واذا اراد ان يتهكَّم على احد صدَّق لهُ على سبيل المزاح ورفع على فمهِ احد طرفي ردائهِ حتى يظهر للحضور انهُ لم يتمالك نفسهُ عن الضحك ولكنهُ امسك عن القهقهة. واذا رافق من يريد تملقهُ او عز الى الذين يصادفهم في الطريق ان يقفوا ريثما يرى رفيقهُ ويبتاع فاكهةً ويذهب بها الى داره ويقدمها لاولاده ويقبلهم ويقول لابيهم: «ان هؤلاء الاشبال من ذاك الاسد ...» واذا رآهُ خارجاً من بيتهِ تبعهُ في الطريق او رآهُ داخلاً دكاناً لابتياع حذاء قال لهُ: «ان هذا الحذاء لا يليق بقدمك» او يسبقهُ الى منزل احد اصدقائهِ فيدخل قبلهُ و يقول لاصحاب المنزل: «فلان قادم الآن لزيارتكم». ثم يعود اليهِ مسرعاً فيقول لهُ قبل دخولهِ: «لقد بشَّرت اهل الدار بقدومك وكلهم مستعد للترحيب بك»

فالمتملق يُقدم على كل شيء بلا تردد . وهو اذا دُعي الى وليمة جلس على المائدة بجانب صاحب وقال لهُ : « حقًّا ان طعامكم فاخر » ومدح الخمر قبل غيره من المدعوين . ثم يرفع من الطبق بعض الطعام ويقول للحضور : «هذا يسمى الصنف الفلاني» ويلتفت الى صاحب الوليمة فيسألهُ ويقول لهُ اذ هل شاعر انت بالبرد ثم يسرع فيلبسهُ رداءهُ ويهمس في اذنيه غير مبالٍ بسائر الجماعة . واذا وجّه اليه احد المدعوين سؤالاً اهمل الجواب ولم يلتفت اليه . وقبل خروجه من الدار يمدح هندستها وبناءها ويُسرّ بكل ما يراهُ فيها ويعجب للامر الفلاني والفلاني . واذا رأى صورة رب البيت اطرأ صنعها واتقانها واعجب بها ايما اعجاب . وخلاصة القول ان المتملق لا يقول قولاً ولا يأتي عملاً عرضًا واتفاقًا بل يقصد في جميع اقواله واعماله ارضاء الناس واستمالتهم اليه

المهذار

حبّ الكلام ضرب من الحماقة وهو ناشيء عن اعتياد المرء التكلم الكثير بلا تروٍ فاذا جلس صاحبهُ بجانب امرىء لم يرهُ قبلاً دخل معهُ في الكلام فحدّثهُ عن امرأته ومدح لهُ صفاتها وقصّ عليه ما رآهُ في منامه وما جرى في الوليمة التي دُعي اليها بدون ان يهمل صنفًا واحداً من اصناف الطعام . ثم يندفع في الحديث فيشنّع على الزمان واهله قائلاً ان الابناء ليسوا كالآباء . ثم ينتقل الى الكلام على ما باع ويشرى في الاسواق فيذكر غلاء القمح ثم كثرة عدد الغرباء المقيمين في البلد . ويتناول بعد ذلك موضوعًا اخر فيقول ان المطر في فصل الربيع ابان الاحتفال بعيد باخوس[1] يكون صالحًا للملاحة وان قليلاً من المطر يعود بالفائدة على الاراضي ويبشر القوم بحصاد جيد . وانهُ سيزرع حقلهُ في العام المقبل ويجتهد في تحسين حالهِ واغناء عائلته . وان الزمان صعب والعيش فيه عسير . ثم ينتقل الى الكلام على سيرس[2] فيذكر المهرجان الذي اقيم اجلالاً لها ثم يسأل جليسهُ عن عدد الاعمدة التي في ملعب الموسيقى ثم عن اليوم الحاضر وكم عددهُ من الشهر ثم يقول انهُ حدث لهُ في ليلته البارحة عسر هضم . واذا آنس من سامعه صبراً على استماع شيء من حديثه الطويل العريض فوق الذي سمعهُ منهُ رجع في مكانه رسوخ الرواسي واعاد لهُ ذكر باخوس وتاريخ الاحتفال بمهرجانه وذكرهُ بغيره من اعياد الآلهة الاخرى

فمع الناس هذه طباعهم ليس للسامع سوى وسيلة واحدة يتذرع بها وهي الهرب اذا

(١) اله الخمر — (٢) الهة الزراعة

شاء التخلص من هذه الحلى الثقيلة اذ ليس من وسيلة اخرى لصدّ الذين لا يميزون بين اوقات الفراغ واوقات العمل

في الفظاظة

الفظاظة جهل المرء لشروط اللياقة جهلاً فادحاً . فالفظ هو الذي يجتمع مع القوم في الاندية والبيع يتبعث من فيهِ ولا يفرق بين الروائح الزكية والروائح الخبيثة . يعتذي نعلاً واسعاً غير مبالٍ بالهندام . ويتكلم عالياً ولا يستطيع خفض صوتهِ الى درجة الاعتدال . ولا يثق باصدقائهِ في اقل المسائل بينما تراهُ يذاكر خدّمهُ فيها و ينقل اليهم كل ما يقال في المحافل والمجتمعات العمومية . وهو الذي اذا جلس رفع اذيال ثوبهِ الى ركبتيهِ بشكل منافٍ للحشمة والادب . ولا يعجب لشيء في حياتهِ ولا يدهش للامور الخارقة التي يشاهدها في طريقهِ . ولكنهُ اذا رأى ثوراً او حماراً او تيساً وقف في طريقهِ حتى يشاهدهُ . واذا دخل المطبخ دفعهُ الشره الى اكل ما يجد فيهِ ويعبّ قدحاً كبيراً من الخمر ويخفي ذلك عن خدّامهِ مع انهُ يذهب معهم الى الطاحون ويحادثهم في اتفه الامور . ويقطع اكلهُ وهو على المائدة ليقوم ويقدم العلف الى دوابهِ . واذا طرق بابهُ وهو جالس على المائدة وجّه اليهِ سمعهُ ونظرهُ . ثم انك ترى ابداً بجانب مائدتهِ كلباً كبيراً فيناديهِ ويمسكهُ من حلقهِ قائلاً : « هذا الذي يحرس المكان والدار وجميع من فيها » واذا دفع اليهِ احد دراهم ارتاب في امرها ورّد منها اليهِ جانباً كبيراً بدعوى انها خفيفة الوزن او انها لا تلمع كالسيف ثم طلب ابدالها بغيرها . واذا اعار جارهُ محراثاً او عدلاً او منجلاً او فقّة قلق لذلك طول ليلهِ ولم يغمض لهُ جفن . واذا سار في البلد سأل اول عابرٍ يراهُ عن ثمن السمك المملح وثمن القراء وعن وقت ظهور الهلال الجديد . واحياناً اذا لم يدرِ ماذا يقول اخبرك انهُ ذاهب الى الحلاّق وانهُ انما خرج من دارهِ لهذا الغرض

في المجاملة

لتعريف هذا النوع من التصنع الذي يقصد بهِ البعض ارضاء الناس والتحبب اليهم بعض التعريف الصحيح وجب ان يقال انهُ خلق يقصد بهِ صاحبهُ ما لا يرضي الفضيلة ولا الاستقامة . فصاحب هذا الخلق حالما يلمح رجلاً عن بُعد يحييهِ قائلاً : « هذا رجل الخير » ثم يدنو منهُ ويعجب بهِ لاقل الاشياء ويقبض عليهِ بكلتا يديهِ لئلاّ يهرب . وبعد ان يمشي معهُ قليلاً يبتدرهُ بالسؤال عن اليوم الذي يمكن لهُ ان يراهُ فيهِ ولا يفارقهُ الاّ بعد ان يحملهُ الف مديح وثناء . واذا اختارهُ احد الناس حكماً في دعوى

فلا يُنتظر منهُ ان ينصرهُ على خصمهِ لانهُ لما كان يقصد ارضاء الفريقين معاً فهو يعمل على مداراة الاثنين ومعاملتهما بالسواء . واذا شاء التودّد الى جميع الاغراب الذين في البلد او استمالتهم اليهِ قال لهم احياناً انهُ يرى فيهم من التعقل والانصاف ما لا يراهُ في ابناء وطنهِ . واذا دُعي الى وليمةٍ سأل الداعي عند دخولهِ المنزل عن اولادهِ حتى اذا حضروا اليهِ عجب للشابهة التي بينهم وبين ابيهم وقال انهُ لم يرَ في حياتهِ مشابهة مثلها بين شخصين ثم هو يدنيهم منهُ فيقبلهم ويجلسهم بجانبهِ ويمازحهم . وفضلاً عن هذا فانهُ يقصد ان يعجب الناس بهِ كثيراً فيعتني اعتناءً بالغاً باستانهِ ويبدل ملابسهُ كل يوم ولا يخرج امام الجمهور الاَّ معطّراً بالروائح الطيبة ولا يجلس في المحافل والمجتمعات الاَّ في صفّ ارباب المال وذوي الشهرة والصيت . وتراهُ في المدارس يجلس في المواضع التي يقترن فيها التلامذة على الالعاب حتى يعرفوهُ وينظروا اليهِ هم وجميع الحاضرين . ويختار في ملاعب التمثيل احسن المواضع فيجلس بقرب الحكام . ولا يبتاع شيئاً لنفسهِ بل يرسل عدّة هدايا الى بلاد متعدّدة ويهتمّ باذاعة الخبر في المدينة حتى يعلمهُ القاصي والداني . وترى دارهُ جامعةً تتحف الكثيرة المتنوّعة التي تسرّ الناظر وتشرح الخاطر او التي يمكن اعدادُها مثل الحيوانات والطيور والآنية والاطايس وسواها . وترى في دارهِ ساحة للالعاب الرياضية والتمرن على الكفاح . واذا صادف في طريقهِ بعض الفلاسفة او السفسطائيين او الموسيقيين عرض عليهم دارهُ ليشتغل كل منهم بصناعتهِ ثم هو يختلط بالحاضرين اثناء الممارسة او التمرن ويقول لهم « لمن يا ترى هذه الدار الفسيحة وهذه الساحة البديعة ؟ » ثم يدل على بعض ذوي الجاه من الحاضرين ويقول : « هذا هو صاحبهما الذي لهُ حق التصرف المطلق فيهما »

في الرجل الساقط

الرجل الساقط هو الذي لا يبالي باتيان الامور الشائنة ويشهد على الناس طوعاً واختياراً ويقسم اليمين تلو اليمين في المحاكم بلا عذر ولا حساب . وهو الذي فقد سمعتهُ واتخذ المماحكة صناعة لهُ وسبهُ القوم علناً بلا وجل ولا عقاب . وهو ذاك الوغد الذي يتداخل في جميع المسائل والامور . ويظهر على الملاعب مع المهرّجة وفي المراقص الهزلية متنكراً ويتفنن في حركات الخلاعة والشناعة . وهو الذي يتصدى لجمع الدراهم من القوم في مجتمعات السكر والشعوذة ويشجر الذين يأتون للمشاهدة ومعهم رقاع الدخول . فهو اذاً رجل جميع الفنون والصنائع فتارةً تراهُ صاحب حانةٍ وتارةً من المشاغبين انصار السوء وطوراً تجدهُ منتمياً الى احد الاحزاب . فليس من تجارة شائنة الاَّ ويدهُ فيها . فبينما تراهُ اليوم دلالاً تراهُ غداً

طاهياً او مقاماً . فكل شيء يصلح لهُ وكل صناعة تليق بهِ . وهو الذي يترك امهُ تتضور جوعاً ويُقدم على السرقة ويقضي قسماً عظيماً من حياتهِ في السجن . ومثلهُ من يكتنف الجمهور وينادي المارة ويشكو اليهم امرهُ بصوت جهوري علهُ انهُ يشتم الذين يناقضونهُ . ويتكلم بكل وقاحة فيجبرك شيئاً من واقعة الامر ثم يقطع عنك الخبر ويقول لغيرك طرفاً منهُ فلا يكاد السامع يعي شيئاً من الموضوع . والانكى من هذا ان السائقين يترقبون اوقات الاحتفالات العمومية حتى يعلنوا حاجتهم على رؤوس الاشهاد . وترام ايضاً في مقاضاة مع الاهلين متأبطين اوراقهم وذاهبين الى المحكمة . وبالاجمال يقال انهم قوم مشاغبون وصعاب المراس السنتهم تنطق ابداً بالنميمة والافتراء واصواتهم تقصف كالرعد في الاسواق والحانات

سليم عوّاد

حجارة الماس التاريخية

ذكرنا بعض هذه الفرائد في المقتطف غير مرة وصوّرنا اشهرها وقد وقفنا الآن على كتاب في الحجارة الكريمة بنوع عام لمؤلفة المستر هربرت سمث من حفظة دار التحف البريطانية فرأينا فيهِ كلاماً عن ٣٦ حجراً من حجارة الماس فانتطفنا منهُ ما يلي لما فيهِ من الفكاهة ولو بالقراءة عمّا يتدر ان يصيب مثلهُ احد من القراء

(١) الماسة المسماة قوه نور او جبل النور — وهي المرسومة في الشكلين الاول والثاني بحجمها الطبيعي كما تظهر اذا نظر اليها من وجهها ومن جانبها . عُرفت منذ سنة ١٣٠٤ حينما وصلت الى يد سلاطين المغول الأ ان لتاليد الهند تمدُّ تاريخها الى اربعة آلاف سنة قبل ذلك . وبقيت في دهلي عاصمة سلاطين المغول الى سنة ١٧٣٩ حينما استولى نادر شاه على تلك المدينة فاخذها مع ما اخذ من الغنائم واخذ اثرها بعد موته ثم ظهرت في لاهو عند صاحبها رنجت سنغ وبقيت يتوارثها خلفاؤهُ الى ان زالت دولة السخ سنة ١٨٥٠ فاخذتها شركة الهند الشرقية وباعتها اهداها لورد دلهوسي الى الملكة فكتوريا وكان وزنها حينئذٍ ١٨٦ قيراطاً وهي قيراط وكانت لا تزال في شكل جواهر الهند كثيرة الوجوه من غير انتظام فقطعت (ششخت) حينئذٍ بشكلها الحاضر فصار ثقلها ١٠٦ قراريط وهي قيراط فقط ويقدَّر ثمنها الآن بمئة الف جنيه وهي ملك للاسرة المالكة . والجوهرة المعروضة في برج لندن زجاجة مثلها